

قضايا الأدب والأدباء

عبث .. وصغار !

بقلم كمال نشأت

يضج في الإعلان عنه لاستوقفت نظر هؤلاء النقاد وهم خيرة مثقفينا وليست هذه هي المرة الأولى التي ينقدون فيها أعمالا ادبية .

ان في هذه التمثيلية بصرا باساليب التعبير وشيئا من التركيز ومعرفة ببعض النظر الفلسفي ولعلنا نلمح شيئا من هذا كله في هذا الجزء الذي نذكره دون اختيار وهو مع ذلك ليس احسن اجزائها :

رينات - « تنصت » :

صوت وقع اقدام في الخارج ...

كيبيل - ماذا بك ؟

رينات : انني اسمع وقع خطوات .. لقد جا «شتاتلر» . اسمع

« ينقطع الصوت » .

كيبيل : واهمة .. الوهم يا امرأة أصبح يدب بقدميه في رأسك فتخالين انها خطوات شتاتلر .

« يعود صوت وقع اقدام خارج المسرح .. »

رينات : احقا يا كيبيل انا لا اسمع وقع خطوات .. أتراني واهمة

« يبتعد الصوت بالتدريج » .

كيبيل : « في سخرية » : الوهم وحش كبير .. وما أنفه رؤوسنا أمامه .. انه يفترس فيها كل حقيقة .. انه ينفذ الى رؤوسنا في صغير لعين كاعصار رهيب يقتلع كل شيء كل رؤوسنا صغيرة امام الوهم ... والوهم عدم ... والعدم لا شيء . حتى العدم لا نستطيع ان نسمد أمامه .. ان يقهرني .. دائما يقهرنا .. رينات .. اتسمميني .

والحوار كما نرى حوار معقول جدا ، ولا يمكن ان يكون كاتبه قد ذكر فيه كل ما مر بباله دون اختيار أو هدف كما يدعي فالمنطقية سمة ظاهرة فيه كما رأينا ولكنها مصيبة انصاف المتعلمين والمتسرعين الذين يتلقفون العناوين ولا يدبرون النظر الفاحص فيما تحتها من كلام، ورأي النقاد في التمثيلية رأي صادق لم يرفعه الى مستوى الادب السالمي كما يقول كاتبها او القانع بالتوقيع على ما كتبه . وموقف الدكتور عبد القادر النطق كواحد ممن ادلوا برأيهم فيها يدلنا على ذلك .. فقد ابتداء رأيه بتاريخ موجز لنشأة مسرح اللامعقول وهو كلام لا يمس التمثيلية اصلا ، وكان كل ما قاله فيها ما يأتي « ويخيل الي ان الرجل والمرأة في هذه المسرحية هما وجهان لحياة الانسان أولهما يرمز الى الروح والثاني الى الجسد .. والروح حبيسة في سجن ضيق لا تستطيع الخروج منه ولا الوصول الى الزهرة الصفراء ولا سد النافذة لتحصول دون تدفق الهواء الاسود . لان الجسد نازر على هذه الروح متطلع الى لذة يوتسك ان يستمتع بها ولكنها في النهاية تقوص في الطين .. ولا يمكن ان تتم سعادة الانسان وحرينه وقدرته على الحركة الا بتحقيق المصالحة بين الروح والجسد . على ان هذه الرموز كما قلت تقبل كثيرا من التأويلات . ولا ينبغي ان نحكم على المسرحية بمجرد حلنا لهذه الرموز بل بما تشره في نفوسنا من مشاعر وافكار .. » وينتهي الكاتب رأيسه بمعارضة هذا اللون المترف من الانتاج الادبي الذي يمثل مرحلة حضارية معينة لم يمر بها مجتمعنا العربي .. وكان رأي رجاء النقاش ان المسرحية تعبر عن مأساة الانسان الحديث وتعلقه بالامل وانتظاره لهجرة تحرره وتخلصه ...

وهذه الآراء التي قيلت في المسرحية لم يكن لاسم الكاتب دخل في تكوينها فسواء كان كاتبها دورنيمات أو احمد رجب أو أي انسان - علما

يبدو اننا لا زلنا - على الرغم من اخذنا بروح الجد في جميع مجالات حياتنا بناء لمستقبل افضل - نعيش في ظل روااسب الماضي . فمنذ اسابيع فكر احد الصحفيين في حيلة دنيئة كسبا للانارة الصحفية ولو كانت على حساب ادباء ناجحين . فقد كتب الصحفي احمد رجب تمثيلية قصيرة تنحو نحو مسرح اللامعقول نهكما بهذا المسرح وتندرا عليه نشرها في مجلة الكواكب(1)، وهو يدعي انه لم يتعمد في كتابتها منطلقا ولا هدفا، وانما ترك للعلم حرية الكتابة دون اختيار ، وكلما خطرت في ذهنه فكرة أو تعبير غريب شاذ وضعه على الورق كيفما اتفق . وقد عرضت هذه التمثيلية على بعض نقادنا المعروفين وهم الدكتور عبد القادر القسط ورجاء النقاش وعبد الفتاح البارودي والمخرج المسرحي سعد اردش . وقد ادلى النقاد بآرائهم في المسرحية بعد ان قدمت اليهم على انها للكاتب المسرحي دورنيمات ، واتخذ القارئون على امر الجريدة موضوع التمثيلية والآراء التي قيلت فيها مادة اثارة صحفية رخيصة لم تزل اصداؤها تتردد الى الان على صفحات الجرائد والمجلات في مصر على اعتبار ان النقاد قد مدحوا هذه التمثيلية المنسوبة زورا الى دورنيمات فضلا عن انها كلام فارغ لا منطق فيه ولا هدف كما يدعي صاحبها . وتتابع سطحية القائمين على هذه المجلة التي نشرت هذه المؤامرة طريق الانارة الفارغة التي دابت عليها قديما كل الصحف الصفراء فتأخذ برأي الرافضات والمطربين والمثليين وكل من هب ودب في هذه المشكلة كأنهم جميعا أهل علم ونظر وثقافة ودراية بالمسرح وتطوره ! ولسنا نسدي الدافع الذي حدا بالقائمين على امر هذه المجلة الى اثار هذه الزبوعة ..

أهي الاثارة الصحفية التي لا تعنى الا بالفقايق العائمة على السطوح استلفانا للنظر والتماسا للرواج ؟ أم الدافع أخطر من ذلك بكثير ؟ ذلك ان نتيجة هذه الزبوعة هي دون شك التشكيك في أمر النقاد والادباء البارزين الذين اثبتوا وجودهم وكان لهم فضل لا ينكره متتبع للحركة الادبية المعاصرة .

وجوه القضية يتلخص فيما يأتي :

1 - تفاهة التمثيلية استنادا الى اعتراف كاتبها الصحفي من انها كلام فارغ لا فن فيه ولا منطق ولا هدف وعدم ادراك النقاد لهذه التفاهة لاعتقادهم انها من أدب اللامعقول .

2 - مدحهم التمثيلية اعتقادا منهم انها مؤلف اجنبي ولو قيل لهم ان كاتبها هو الصحفي احمد رجب لتغير الامر مما يشبث « في رأي كاتبها » وجود « عقدة الخواجه » لدى النقاد ، تلك العقدة التي تضيف الفضل كله لكل ما هو غربي نتيجة الاحساس بالتخلف والنقص .

ولو رجع بعض القراء والادباء السطحيين الى المسرحية نفسها وقرواها قراءة متأنية لبانت لهم تفاهة هذه الضجة ولاتضح امامهم حقيقة الامر . وأول ما يتكشف امام القارئ المثبت ان التمثيلية ليست كما يدعي صاحبها ، فليست فيها التفاهة واللامعولية التي يحاول استنادها اليها .. بل انني لاذبح أبعد من ذلك فأقرر ان احمد رجب أعجز من كتابة مثل هذه التمثيلية .. وليس بعيد ان يكون كاتبها احد اصداقائه من الادباء العابثين ، ولو كانت التمثيلية تافهة الى الحد الذي

(1) المسرحية حوار بين رجل وامرأة يتحدثان عن شخص ثالث ينتظرانه ، وفكرتها هي نفس فكرة مسرحية بيكت المعروفة « في انتظار جودو » .

كان ام نكرة - فان رأي النقاد انصب على هذه المسرحية المعينة التي لم تكن - كما رأينا - محاولة مسطول ترك قلمه يتحرك في يده دون هدف كما يحاول صاحبها ان يوهم الناس !

وبدهي ان أدبيا « مهما كانت ثقافته واطلاعه » لا يستطيع ان يتابع ما تخرجه المطابع في العالم بل ان متابعة المطبعة العربية وحدها كما قال الدكتور مندور - شيء مستحيل « فنسبة المسرحية الى دورنيومات أو غيره لا تقدم ولا تؤخر من حيث النظر الى المسرحية والحكم عليهما . وهي في نفس الوقت لا تعتبر مطعنا يشين واحدا ممن ذكروا رأيهم فيها خصوصا وان فكرة هذه المؤامرة لا تخطر على بال احد . . . لانه لا يعقل ان تلجا مجلة تنتسب الى دارصحفية تملكها الدولة الى هذا الصبب والصغار في وقت أخذ الجد فيه طريقة الى كافة مجالات حياتنا . هذه الحياة التي لم تهدر ولم تضع الا في أمثال هذه التفاهات قبل ان نتحرر ونعرف طريق الخلاص . وفي رأيي ان المسألة يجب ألا تقف عند هذا الحد . . فان مهنة القلم أشرف من ان ينتسب اليها الادعياء والمهرجون والفوضيون ولقد اصبحت صحافتنا ملك الدولة ، ولما كانت هذه الصحافة لسان الشعب الذي تحرر وطرح عن نفسه مخازي الماضي وعيوبه وجب على القائمين بالامر تحرير الصحافة من الاقلام الرخيصة التي تشكك وتهدم وتعبث دون رادع من حياء أو ضمير .

كمال نشأت

حول نقد « قضايا الشعر المعاصر »

بقلم عبد الجبار عباس

لم يقابل كتاب السيدة نازك الملائكة عن « قضايا الشعر المعاصر » باعتباره اول دراسة منهجية جادة عن الشعر الحر بما كان حربا ان يقابل به من مناقشات معمقة ودراسات تحليلية ترتفع الى المستوى الذي بلغه الشعر الحر من جهة وتسمو الى مصاف الجهد الذي بذلته المؤلفنة الفاضلة في اخراج هذا الاثر الادبي القيم من جهة اخرى . واذا ضربنا صفحنا عما حملته لنا الانباء الادبية من امر حديث الدكتور سبيسر القلماوي عن الكتاب في اذاعة القاهرة ، والفصل الذي نشرته الدكتورة بنت الشاطيء في « الاهرام » ، فليس في ما بين ايدينا من النقود التي نشرت عن الكتاب ما يشير الى انه حظي بما يستحق من تقييم نقدي وانصاف موضوعي .

وليس ادل على هذا من ان يوسف الخال (1) يدعو في معرض نقده

(1) راجع : مجلة شعر - ٢٤ خريف ١٩٦٢

فندق كلاريدج

شارع سليمان بالقاهرة

موقع ممتاز واسعار متدلة

بإدارة : حلمي المباشر

للكتاب وفي غير قليل من « الجراة » الى الاهتمام بالضمون دون الشكل والانصراف عن الضبط اللغوي والنظم دون قواعد مسبقة ! ، وان الناقد عدنان ابن ذريل (٢) لم يكن يعلم حتى صدور اكتاب ان حركة الشعر الحر قضية ذات شأن وعلى جانب من الخطورة ، وان الناقد علي الحسيني (٣) اكتفى بمناقشة الآراء التي يخالف فيها المؤلف معرضا عن جوانب الكتاب الايجابية .

والذي يعنى النظر في كتاب السيدة الفاضلة يجد ان بمقدوره ان يقسم موضوعاته الى قسمين بارزين اولهما نقدي محض ، وهو القسم الذي تناولت فيه المؤلف بالدرس الرصين والتحليل العميق موضوعات فنية خالصة كقصيدة النثر وهيكل القصيدة والتكرار والصلة بين الشعر والحياة ومزاق النقد المعاصر ، وثانيهما عروضي اقرب الى الدراسة التاريخية المقتنة منه الى الدراسة الذوقية المحضة ، وان تكن المؤلفنة قد اشارت في غير موضع الى انها اعتمدت الذوق الموسيقي أساسا في استقرائها القوانين العروضية الجديدة .

والواقع ان الملاحظات التي انصبت على موضوعات الكتاب النقدية لا تختلف عن آراء السيدة نازك حول تلك الموضوعات في انها ليست احكاما نهائية في ذاتها ، ذلك لانها تتعاق بموضوعات آتية من جهة ، ولا تسلم من تأثير ذوق صاحبها فيها وتبينه لهذا المنهج الفني او ذاك من جهة اخرى ، فهي اقرب الى الانطباع الذاتي منها الى الحكم التاريخي ، والا شأن هي الحقيقة التي تمخضت عنها مناقشاتنا حول الالتزام واسباب ظهور الشعر الحر وعناصر القصيدة وأهمية الموضوع ما دمنا لم نتفق - ولا يبدو اننا سنتفق لاسباب موضوعية وجيهة - على رأي موحد في هذه المواضيع ؟ . نحن لاندعو الى صرف النظر عن موضوعات كهذه ، ولكن الذي نريد ان نؤكد عليه هنا ان علينا ان نكون من رحابة الصدر والتمثل لحقيقة مشاكلنا الادبية في المستوى الذي لا تقابل به بعض الآراء التي تصدر عن هذا الناقد او ذاك بالاعراض لمجرد انها لا تجد من اذواقنا ومدارسنا قبولا . حسب تلك الآراء انها تصدر عن ذوق فني مرهف وفكر منطقي رصين . نحن نعجب بكتاب السيدة نازك الملائكة لا لان آراءه النقدية تتفق وما نذهب اليه في هذه القضية أو تلك ، ولا لانه وضع حلا نهائيا لمشاكلنا الادبية الراهنة « وهذا ما لم تزعم المؤلفنة انها وضعت كتابها من اجله » وانما لان في الكتاب من عمق التفكير وبعد النظر ورهافة الذوق ما يدعونا الى الاعجاب به والدعوة الى تدارسه وتقييمه . ان علينا ان ننصت باهتمام الى الآراء الجديدة في المواضيع التي تنبئ فيها وجهة نظر خاصة ، ففي ذلك للحركة الادبية الخير كل الخير ، وان الزمن كقيل يحسم ما نتصارع بسببه من آراء ومذاهب . . صحيح ان الفصل الخاص « بمزاق النقد المعاصر » لا يخلو من دعوة الى تعجيد طاقنا الابداعية بصرف النظر عن مدارس نقدية بعينها بالرغم من اتفاقنا مع المؤلفنة على عجز أسلوب الانشاء والنقد التجزيئي والاحكام السلبية عن نقد عمل فني ما نقدا صحيحا ، وصحيح ان لتطور نفسية المؤلفنة الذي انتهى بها الى الاستقرار بعد فترة الضياع والكتابة أفسرا واضحا في النزعة المحافظة التي اتسمت بها بعض آرائها النقدية كما هو واضح في تنبؤها بان كثيرا من المثاليين في استعمال الشعر الحر سيرتدون في السنين القادمة الى الاعتدال والاعتدال ويعودون الى الاوزان الشطرية فيكتبون بها بعض شعرهم « ص ٤٧ » ، وهو تنبؤ ليس له ما يبرره البتة ، وصحيح ايضا ان نقدها للدعوة الاجتماعية في الشعر لا يخلو من لاموضوعية اذا نحن نظرنا اليه على ضوء ما اصابته هذه الدعوة من تطور واتساع بحيث انها لم تعد مقصورة على مفهوم اجتماعي معين ، ولكن من الواضح انه لو لم يكن في دراسات المؤلفنة النقدية غير تناولها العميق لهيكل القصيدة واساليب التكرار والمسؤولية اللغوية وقصيدة النثر لكفاهها فخرا ، ولكفانا دليلا على ما تتمتع به من دقة في تناول

(٢) راجع عدد الاداب السابق . المقال الاول

(٣) راجع عدد الاداب السابق . المقال الثاني .

وعمق في النظرة واحاطة باطراف الموضوع ، والا فمن غير الحميدة نازك الملائكة من نقادنا المعاصرين تناول هذه الموضوعات الدقيقة بمثل مسا تناولتها من رصانة وعمق وبعد نظر ؟

بقيت مسألة العروض الجديد .. والنقاش حولها ينحصر في ثلاث نقاط :

١ - ينكر يوسف الخال على المؤلفة استقراءها الجديد بدعوى « ان خليل الشعر القديم قد جاءنا يستقرىء القوانين ويضبط البحور والسقطات في زمانه بعد مئات السنين على نشوء القريض العربي ونظوره » (لاحظ ان القريض العربي لم يصب حظا من التطور الموسيقي حتى ظهور الخليل) ، أما خليلنا الجديد « يعني السيدة المؤلفة » فقد استعجل المجيء ولم يمر على تجارب حركة الشعر الحر الا عشر سنوات « ناسيا او متناسيا ان الوعي بالشكل الموسيقي الجديد ، على عكس وعي شعراء العرب قبل الخليل بالبحور التي ينظمون بها ، بدأ مبكرا جدا ، (٤) ، وان السيدة نازك الملائكة ما كانت لتأخذ على عاتقها مهمة استقراء القوانين العروضية الجديدة - وهي في رأيي قوانين يستطيع أي باحث تمكن من العروض ورزق الحس الموسيقي الجيد ان يستقرأها ، لانها ليست نتاج الفطرة فحسب وانما تستند الى عروض الخليل ايضا - لو لم يقع الشعراء المحدثون في اخطاء عروضية عديدة نصت عليها المؤلفة في كتابها ، ذلك لان الشكل الجديد كما نصت السيدة نازك ادعى الى الخطأ العروضي من الشكل التقليدي ، ولو لم يقم الخليل باستقراء القوانين العروضية القديمة لما تغير شيء في حقيقة ان الشكل القديم بقي صاحبه من الزلل والخطا ولظل الشعراء يكتبون فصائلا سليمة العروض كما كان يفعل الشعراء قبل الخليل ، ولكن وعي الشاعر المعاصر بالاطار الموسيقي العام للشعر الحر لم يعصمه من الوقوع في الخطأ الناجم عن وحدة التفعيلة وتشابه ضروب بعض البحور وطريقة الكتابة . واذا كنا في ظرف عشر سنوات قد ارتكبنا كل هذه الاخطاء العروضية فما هي الحال التي سيكون عليها الشعر الحر لو اخذنا بنصيحة يوسف الخال ! ؟

٢ - تسأل الناقد عدنان ابن ذريل : « لماذا نقبل بتكرار التفعيلة ولا نقبل بتكرار الايقاع الشعري بالنسبة للبحور الاخرى » والواقع ان المؤلفة ما كانت لتجزم بان الطويل والمديد والسيط والمنسرح لا تصلح للشعر الحر على الاطلاق ، لو ان الشعراء المحدثين كتبوا في هذه البحور .. لقد كان امر كتابة الشعر الحر من البحر الطويل او البسيط لا يعدو كونه محاولة انتهت من تلقاء نفسها بالفشل دون ان يقف احد في وجهها . وعلى سبيل المثال .. فقد كتب بلند الحيدري من البحر البسيط قصيدته الموسومة « في الليل » (٥) ، وهي على الشكل التالي :

في الليل اذ تدفن الموتى لياليها
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلمن
وتنكي الانفس النعبي على ابد
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلمن
لم يدر ان يدي
مستفعلن فعلمن
حاكت مآسيها
مستفعلن فعلمن
من كل ما فيها
مستفعلن فعلمن
وانني في ظلام الليل اسيان
مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلمن

(٤) راجع مقدمة ديوان « شظايا ودماء » لنازك الملائكة، ومقدمة ديوان « اساطير » للسياب .
(٥) أغاني المدينة الميتة وقصائد أخرى .

ولكن بلند الحيدري نفسه لم يكتب على هذا النمط قصيدة اخرى ، كما لم يكتب - في حدود علمنا - شاعر اخر ، والسبب في هذا الاعراض عن هذه البحور « ان كون الوحدة تتألف من تفعيلتين بدلا من تفعيلة واحدة يجعل طول الشعر محددا لا يبدو ان يكون « فمعلمون مفاعيلن » - الحديث هنا عن البحر الطويل - واحدة أو تكرارها (فمعلمون مفاعيلن فمعلمون مفاعيلن (ص ٦٧)) وهو « نظم صلب تنقصه اليونة (ص ٦٨) » .

٣ - انكر علي الحسيني ويوسف الخال على المؤلفة دعوتها الى تجنب الخلط بين التشكيلات ، وزعما ان مثل هذه الدعوة استبدال للقيود القديم بقيود جديد ، وكنت اود لو كان المجال يتسع لمناقشة القيسود واهميتها في الفن الحكم السليم ، ولكني اكتفي الان بمناقشة هذا المقطع من قصيدة سعدي يوسف :

يا طائرا أضناه طول السفر
قلبي هنا في المطر
يرقب ما تأتي به الاسفار

ألا يرى (الخال) ان في « اسفار » ووزنها « مفمول » نشازا موسيقيا يصدم الاذن المرهفة التي انسجمت مع « فاعلن » في ضربتي الشطر الاول والثاني .. فضلا عن ان في هذا التغير الذي طرأ على موسيقى القصيدة عزوفا عن بحر « السريع » الى بحر « الرجز » ؟ أم ان السيد الخال يريد لنا ان نكتب الشعر هكذا كيفما اتفق ودون قواعد مسبقة كما هو الحال في اغلب القصائد التي نشرها مجلة « شعر » ؟! . ان السيدة المؤلفة لم تفعل اكثر من انها طبقت قوانين الخليل نفسها على الشعر الحر فكما لا يحق للشاعر الذي يكتب بالطريقة القديمة ان يخرج عن السريع الى الرجز في قصيدة واحدة ، كذلك لا يحق للشاعر الذي يكتب بالشكل الحر مثل هذا الخروج ، واذا كنا نشك في سلامة استقراء نازك فخري بنا ان نشك في قوانين الخليل ذاتها .

وبعد .. وبعد .. فان كتاب « قضايا الشعر المعاصر » على ما انطوى عليه من آراء ذوقية قد لا تتفق وهذا المذهب او ذلك ، سيبقى دليلا ناصعا على ما بلغه النقد العربي المعاصر من الدقة والعمق، وستبقى قوانينه العروضية دستوراً ينبغي على كل من يكتب الشعر الحر ان يستفيد منها ويقوم فنه على هداها .

عبد الجبار عباس

الحله

صدر حديثا

الرهجوردية وحكمة الشعوب

تأليف سيمون دو بوفوار

ترجمة جورج طرابيشي

دراسات عميقة عن الوجودية وعلاقتها

بالمجتمع والشعب وأثرها في الحياة عموما

الثمن ١٧٥ قرشا لبنانيا

دار الاداب